

مصحح

نبذة في تاريخ دير قزحيا ومطبعته^١

عثنا بين اوراقنا على نبذة خطية للطيب الذكر الاب نعمة الله القدوم الكفري (بلاد جبيل) مشهور بالعلم والفضيلة، كتبها عن دير مار انطونيوس قزحياً ومطبعته سنة ١٨٩٩، ولما كانت لا تخلو من الفائدة رأينا ان نلحقها بهذا المقال، وهي بنصها الواحد :

اقول انا الاب نعمة الله الكفري : ان عمار دير قزحياً قد ازداد تدريجاً كما ازدادت ايضاً أرزاقه تدريجاً . أولاً انه في اواخر الجليل الثامن عشر أحضرت الرهبانية البادية اللبنانية المارونية مطبعة من رومية مع آبائياتها وأماياتها لاربعة اشكال من الاحرف السريانية الجميلة وذلك عن يد الاب ساروفيم الشوشاني البعوتي الذي توفي سنة ١٨١٤ . فهذا كان أرسل الى رومية لطبع « الشبية » بالحرف الكرشيوني بنفقة الرهبانية المذكورة ، وتم طبعها سنة ١٧٨٢ تحت منظر الاب سمان خضير معلم اللسان العبراني في المدرسة الرومانية بزمان البابا بيتوس السادس ورئاسة الاب عمانوئيل الرشاوي على الرهبانية . ورجوع الاب ساروفيم من رومية أحضر معه المطبعة المذكورة فوضعت أولاً في دير مار موسى الحبشي (بلاد المتن) وكان حينئذ رئيساً عاماً على هذه الرهبانية الاب مرقس (الحداد) الكفعاي (عين كفاح احدى قرى بلاد جبيل) وطبع فيها بعض كتب . منها خدمة القديس سنة ١٧٨٩ ، ثم كتاب « اسرار الانبياء » ثم الرسائل ، ثم الشجيرة الكاملة وكلها بالحرف الأسود دون الأحمر . وانا

رأيت منها (من مطبوعاتها) من أمثـل طويل خدمة وشجيرة بالحرف الرفيع . ثم نقلت هذه المطبعة الى دير قزحياً نحو سنة ١٨١٥ ، وكان ذلك بزمان رئاسة الاب اغناطيوس بليل العامة على الرهبانية ، فبني لها شرقي الدير محل منفصل عنه قليلاً وهو عبارة عن قبو عقد كاف لإدارتها ولوازمها ، وفوقه محل للطبوعات وتجليدها ، وذلك برئاسة الاب ارسانيوس النيطاوي على الدير من سنة ١٨٢٠

الى سنة ١٨٢٣ . وكان البناء الاب عبد الله متى الاعمجي الشير وقتئذ بمثابة البناء ، وبزمان رئاسة الاب النبحاوي المذكور اقيم المشي الشرقي قبله وهو يلتب باسمه لحد الآن (مشي النبحاوي) وان كان اقام بنائه بزمان خليفته الاب مرقس الشنعيري . وكان البناء الاخ يوسف المعادي .

وكان دولاب هذه المطبعة خشباً وكانت حروفها تتجر بطبشات من جلد ثم بدل دولابيا بدولاب حديد صغير . ومن التقليد انه طبع بها المزامير بالحرف الكرشوني وقد رآه وقرأ به الاب جبرائيل السبعي . وعن لسان المرحوم الاب يوسف الحصري الذي توفي سنة ١٨٩٦ بعمر نحو ثمانين سنة انه رأى هذا المزامير^١ . ثم تغيرت هذه المطبعة بالمطبعة الحالية التي اشتراها المرحوم الاب دانيال الطلم الخدي المعروف « بقديس قرطبا » برئاسته على الدير سنة ١٨٧١ ، من المرحوم رومانوس عين الاهدي . وليس من ذكر للطبعة في دير قزحيا قبل التاريخ المتقدم ذكره .

وأما الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة في دير قزحيا المذكور لحد الآن اي سنة ١٨٩٩^٢ ، فقد تقدمت لائحة بها الى مجلة المشرق^٣ .

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبدالله الحياز ، الذي تعلم صنعة البناء عند الاب عبدالله الاعمجي المتقدم ذكره ، جسر طاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا . وكان عمار هذا الجسر بزمن رئاسة الاب اغناطيوس (سركيس) البيروتي على هذا الدير .

(١) ان دير قزحيا شيد بين جدرانته ثلاث طابع : المطبعة الاولى المطبوع فيها كتاب المزامير بالحرف السرياني الكرشوني سنة ١٦١٠ ولا يعرف شيء عن امرها وقد تكلم عن طبعة المزامير هذه ماسهاب الاب لويس شيخو في مقاله « تاريخ فن الطباعة في المشرق » (المشرق ٣ (١٩٠٠) : ٢٥٣ - ٢٥٧) ، والمطبعة الثانية هي التي اتي بها من رومة الاب ساروفيم حوقا الذي لقبه الفرنج بالشوفاي . والمطبعة الثالثة ، الحالية ، هي التي ابتاعها الاب دانيال من رومانوس عين من اهدن . وكتاب المزامير لم يطبع الا بطبعة دير قزحيا الاولى .

(٢) هي السنة التي كتب فيها الاب الكفري هذه النبذة التاريخية عن دير قزحيا ومطبعته .
(٣) راجعها في مقال « تاريخ فن الطباعة » في المحل المذكور .

وفي سنة ١٨٥١ بنى الاخ عبدالله المذكور جسر نهر رشعين في ملك دير قزحياً بزم من رئاسة الاب اندراوس القرطباوي على هذا الدير ، وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب لورنسيوس (يمين) الشباي .

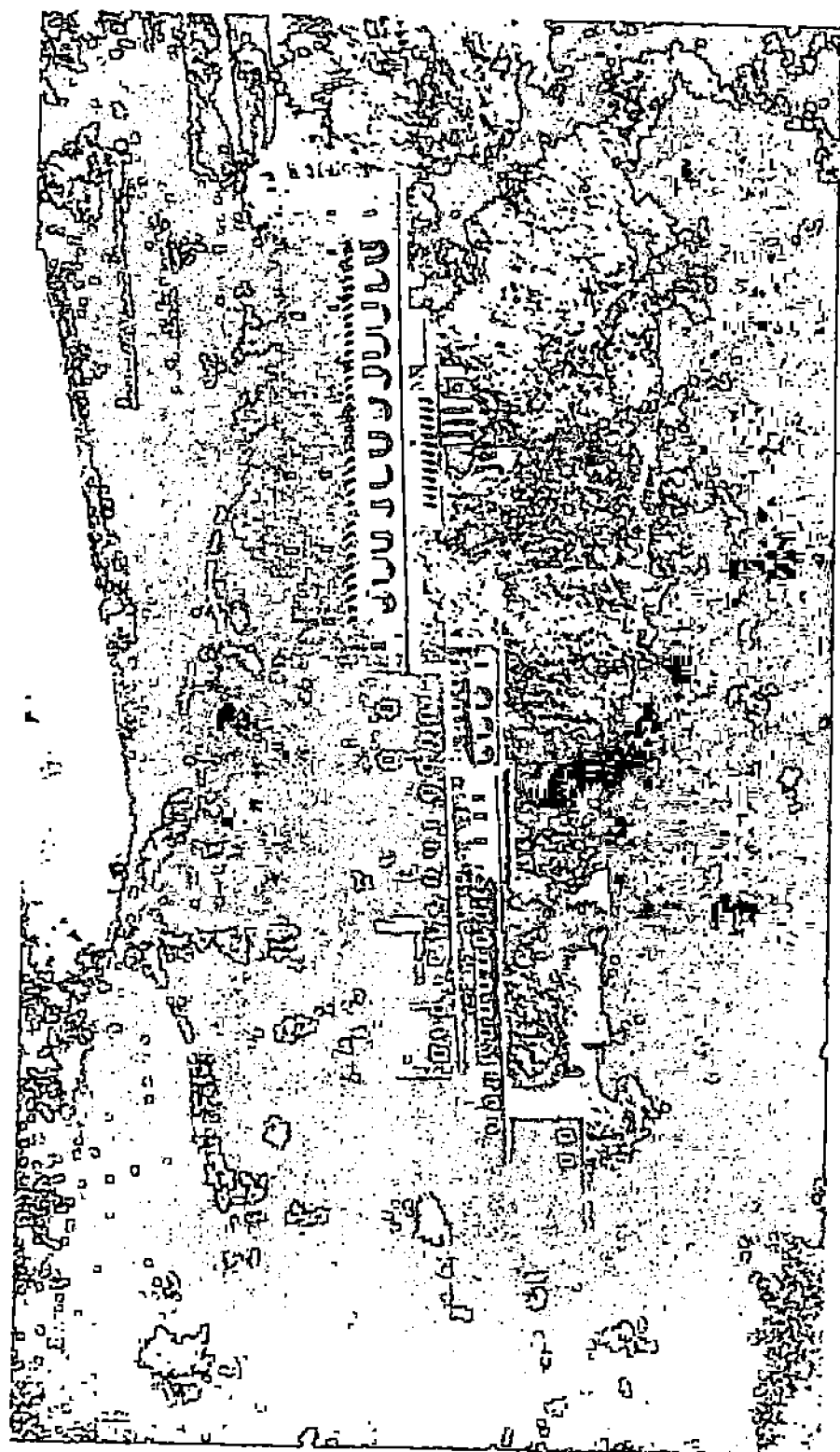
وفي سنة ١٨٥٦ توفي الاب انطونيوس الصفاي الحنيس في محبة مار بولا (في محلة غتا) المتقدم ذكرها . وكان ذا سيرة فاضلة جداً ومن جملة فضائله واختصها فضيلة الامانة ، فان طعامه وهو في سن الشيخوخة لم يكن غالباً سوى الخبز المفوس بالزيت . والذين استحبوا في هذه المحبة كثيرون ، فكانوا يلبسون المسح الشعري ولا يأكلون العنب ، وكان طعامهم مرة واحدة الساعة التاسعة من النهار . ومن عداد الذين كانوا قبله في هذه المحبة الاب اليشاع المادي ، فن جملة فضائله الصلاة والتأمل مصلوب اليدين ، ينفرد احياناً عند مباشرتهما في مفارة صغيرة فوق المحبة وعندما تحدر يدها يربطها بمرسة (حبل) معلقة في سقف المفارة . وشهد بذلك رهبان كانوا يرقبونه ، وقد دلتني بعضهم على تلك المفارة حين كنت مقيماً في هذا الدير وذلك في سنة ١٨٥٤^{١)} .

وفي سنة ١٨٥٥ ، أقيم رئيساً على دير قزحيا الاب اغناطيوس شكري الديواني وشرع بعماد الدير لجهة الغرب قبالة حذاء عمار الرئيس السابق الاب ارسانبوس الذي سر ذكره ، فأقام أقيية طويلة مرتفعة وعلى ظهرها صالونات وقلاي وشمسي لجهة النهر بقناطر مرتفعة بعد هدمه العمار القديم الحقير الذي كان محاشراً باب الكنيسة وهو المشي المعروف حتى الآن «بمشي شكري» . وكانت نهاية هذا العام سنة ١٨٥٧ ، وبلغ كلفه مع تبليطه ومنجورة مائة وستين ألف غرش . وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب عمانوئيل (سلامة) المتيني .

وفي سنة ١٨٦٤ أقيم الاب بطرس بيجدزقل^{٢)} رئيساً على هذا الدير . قد

(١) توفي الاب اليشاع المادي احد حباء محبة دير قزحيا وله من العمر سبعون سنة في ٩ تموز سنة ١٨١٩ ، برئاسة الاب برنردوس النزييري على دير قزحياً ، وقد مكث في هذه المحبة ثلاثين سنة . طالع تاريخ محبة دير قزحيا ومن سكنها من الرهبان الحباء ، كتاب « كشف المغفاه عن عجايب ليسان والحباء » للاب ليانوس داغر التوردي ، ص ٥٠ - ٧٣ ، بيروت مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ ، ١٦٠ صفحة .

(٢) اليك ما جاء عن وفاته في روزنامة دير مار قهيانوس كنيان بمرقه الواحد :







الاب نعمة الله الكفري

١٨٣٦ - ١٩٠٨

تلقى بعض العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير . فهذا شرع بتكبير الكنيسة وتوسيعها طولاً وعرضاً نقرأ في الصخر ، وكانت مقبرة ذات جدار واحد لجهة القبلة فهدم هذا الجدار وأقامه جديداً بالطبر الساساني المنحوت والمجمل الذي جلبه من مقلع واقع بين اهدن وعربة قرحياً . أما الابواب والشبابيك فقد استحضرت حجارة نحتها من جبل حصرون ، فأصبحت بذلك كنيسة كبيرة بديعة ، وان ثلثي سقفها من اصل المقبرة والثلث الآخر منها فهو معقود بالحجارة تحت جزء المقبرة المرتفع عن باقيا . ثم عمل لها منجوراً فائخراً وبساطها ببلاط الرخام بيد حجارين حليين وعقد لها اربعة مذابح لجهة الشير (الصخر) المنقور ، ومذبحاً على اسم السيدة العذراء في الحائط المذكور . ثم جلب لها غطاة وجملة بدلات للقدس ، وكان أوصى لها بتذبح وعواميد من رخام ودفع من ثمنها ثلاثة الاف غرش ولكنه لم يُشيد إلا بعد نهاية رئاسته وذلك بزمان رئاسته خلفه الاب روفائيل عواد الحصري الذي استحضرت لها جملة صور كبيرة وصغيرة . وقد بلغ ثمن تجديد عمار هذه الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ ، مائة وتسعة وعشرين ألفاً وسمائة وستة وتسعين قرشاً ، وكان حينئذ رئيساً عاماً على الرهبانية الاب افرام جميع البشراوي .

واما محل الزوار (المعروف بجسمة الزوار) فقد جددّه الاب مارون الصغاني برئاسته على هذا الدير بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ ، وعمر فيه عماراً جديداً مؤلفاً من صالون للاستقبال واربع قلاوي في وسطها ممشى وايوان للفرب مشيدان على سطح قبر من عقد . وقد جهزها بعده بكل لوازمها الاب بطرس التلوي^(١) (تولا ، الجبة) برئاسته على هذا الدير . وهذا الاب تلقى علومه

« قد انتقل الى رحمة الله الاب بطرس بيدرقل وهو مسلح بكامل الاسرار المقدسة . والمرحوم كان من عواميد الرهبنة وله انساب وافرة في قيام حوائت الرهبنة . وكان انتفاله ٨ حزيران سنة ١٨٦٩ ، خاض الثلاثة الواقع في ٨ الشهر المذكور » .

(١) ان الاب بطرس التلوي كان احد اعضاء الدائرة العلمية المارونية التي كان يرئسها المطران يوسف الدبس ، وقد نقل من الفرنسية الى العربية هو والمخوري بولس الرغي - عضو الدائرة العلمية المارونية - الجزء الاول من « رسوم مواظب دينية للمخوري كدولس مريتنوس الفرنسي مؤلف مكتبة الواعظين » وطبها تحت عنوان : « كتاب عنوان اليان وبستان الاذهان » بالهيئة المصومية الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٨٤ ، في ٣٥٤ صفحة ،

بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير .

وأما أملاك هذا الدير فهي وفيرة جداً في الساحل والجرد والقليل منها ولاسيا في زاوية طرابلس هو وقف من المحسنين من مشايخ آل الظاهر وغيرهم ، والباقي هو مشتمى وتجديد وشغل وكذا الرهبان وبالأخص بدة رئاسة الاب اغناطيوس بليل العامة على الرهبانية التي استمر فيها سبعة مجامع متواصلة ، بعد نيابته نحو سنتين بعد وفاة الرئيس العام الاب عماثونيل الجميل ، وذلك من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨٢٣ وقد غنت الرهبانية وازدهرت بزمن رئاسة الاب بليل العامة روحياً وزمناً ، من تشديد في حفظ القوانين والرسوم الرهبانية وتشديد اديار وتجديد أملاك . ومن الأدلة على سهره وحسن ادارته وضعه الاخ مارون الببداتي " وكيلاً على أملاك الرئاسة العامة في الزاوية وأملاك دير قرحيا هناك . وكان هذا الاخ صاحب تقوى وفطنة وغيره كبيرة على نجاح الرهبانية ، فكسر الاراضي التي كان أكثرها حرشاً وأشجاراً ، في رشعين وجوارها وغرس فيها كثيراً من التوت والزيتون بعضها لوظيفة الرئاسة العامة وبعضها للدير المذكور الذي صار له مداخل وافرة منها ومن الطواحين التي عمرها على نهر رشعين فضلاً عن مداخل أملاكه في الجرد وعن الاحسان من الزائرين الكثيرين لهذا الدير لاجل العجائب الكثيرة الحادثة به بشفاعته القديس انطونيوس صاحب المقام ، من شفاء مرض وطرد الشياطين من المجانين وغير ذلك من فوائد يجنونها من زيارتهم ، وكل ذلك مشهور . ولأجل نجاح هذا الدير وعمرانه كثرت عدد الرهبان الساكنين فيه فبلغ أحياناً كثرة الى المئة راهباً .

•

وفي سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٧٦ ، شئت (فصلت) الرهبانية عن هذا الدير ثلاثة اديار في سواحل الزاوية تحميها للرهبان عنه وتسيلاً لشغل الأملاك

وعثرنا للاب التولوي في مدرسة نان على سودة الجزء الثاني من هذا الكتاب ، من ترجمته وخطه ولكنهما مخرومة في الاول والآخر . وهو الذي اتدب للسفر الى نابولي فأتى منها بيجان الطيب الذكر يوسف بك كرم البطل اللبناني ، الى لبنان .

١ هو من عائلة مدليج الشرماتي من ببدات . طالع « تاريخ ببدات وأسرهما » للخوري نمرة الله الملكي ص ٢٠٧ . مطابع وزونكنراف نصار ، بيروت ، في ٢٠٢ صفحة .

التي له هناك واتقانها . وقد فوزت الرهبانية لكل من هذه الاديار قسماً من املاكه تكفي لمعاش رهبانه . وهذه الاديار هي اولاً دير الجديدة ، شرقي قرية كفرزينا وهو على اسم القديس انطونيوس اب الرهبان . وثانياً دير عشا ، شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس وهو على اسم القديس جرجس . وهذان الديران تشيّدا بزمين رئاسة الاب عمانوئيل الشابي العامة على الرهبانية ، وذلك سنة ١٨٤٩ ، وثالثاً دير بصرما وهو اسم سيّدة النجاة في كنيسة طرابلس تشيّد سنة ١٨٧٦ وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب مرتينوس (سابا) القوسطاوي . وقد بُني هذا الدير بكامله بمشي واهتمام المرحوم الاب دانيال (العلم) الحداثي (حدث الجبّة) المدير يومئذٍ، وكان ذا سيرة فاضلة، وقد توفي بدير مار سركيس قرطبا ودُفن فيه ، وانه يصنع كرامات عديدة تدلّ على قداسه ، ويؤزّره المرضى والمحتاجون ويستفيدون من زيارته . هذا ما فُصل من املاك دير قزحياً في الساحل .

٥

وفي سنة ١٨٥٥ استحضرت المطبعة بالعريّة لدير سيّدة طاميش (بلاد كسروان) ودفع دير قزحياً من اصل ثمنها خمسين الف غرش .
وأما ما فُصل من املاك دير قزحيا في الجرود وأعطى لبعض اديار الرهبانية فهو قليل بالنسبة الى ما فُصل من املاكه في السواحل . لما اخذت الرهبانية من المرحوم المطران بولس رزق مطران ابرشية طرابلس، دير راهبات مار سمعان العامودي القرن القائم فوق عربة قزحياً غربي قرية قيطو ، وفيه ست راهبات عابدات ، كان فقيراً مديوناً بثمانية عشر الف قرش وفاها الاب افرام ججع البشراوي الرئيس العام حينئذٍ اي في سنة ١٨٦٦ واشترى له جملة ارزاق من دخل وظيفته وخمّص به جملة ارزاق ايضاً من دير قزحياً وعثره ديراً كبيراً . ومن أمد بعيد فُصل قسم من املاك دير قزحياً في قرية بان من توت وغيره وأعطى لمدرسة بان خاصة الرهبانية . ومع هذا كله لا يقلّ عدد سكّان هذا الدير عن الستين او السبعين راهباً . وقاه الله من صروف الدهر وظروفه وأبقاه فخرًا وملاذًا للرهبانية وللطائفة بدعا . صاحب مقامه آمين .

تنبؤ

ان الاب الكفري يتكلم في هذه النبذة التاريخية عن بناء دير قزحيا القديم بعد ان تلمّته الرهبانية ، ولكنه يتبسّط في الكلام عنه في نبذة أخرى له ، سوف نشرها ، قبل ان ابتاعته الرهبانية من المطران جرجس حبقوق ، وان البناء القديم الذي يتحدث عنه الاب الكفري في نبذته التاريخية هذه ، قد هُدم باذن قدس الآبائي المفضل اغناطيوس داغر التئودي رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقاً وُجدد بناؤه على اسلوب حديث جديد متين بحسب الهندسة التي وضعها له الشيخ جيل الحازن ، في خلال رئاسة حضرة الاب ميخائيل نعمة السرعلي على هذا الدير . ولم يبقَ من البناء القديم سوى الكنيسة وبناء المطبعة وقسم من مثنى شكري (انظر رسم البناء القديم) . ولما تمّ بناؤه الجديد كلّفت المرحوم الشاعر الناصر الحوري الياس الحانك (بكّة ، بلاد جيل) مدير الدروس العربية وقتئذ في مدرسة عينطورا الشهيرة ، ان ينظم له تاريخاً ، فنظم ستة ابيات من الشعر لا اذكر منها سوى اربعة وهي :

تجدد دير كل ما فيه ناطق	بأوصافه الحسنى وتبسّجته الطلي
وحلت عليه للرئاسة نعمة	بأيام ميخائيل من أرض سرعل
فكم زاور ايمانه الحيّ قاده	الى دير قزحيا بقلب مؤمل
فقال الذي يرجو وقال مؤرخاً	هنا معجزات الله للخلق تنجلي

